الهداية

٣

الرجل

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

72-960035

(D01.3)

الديوان

كتاب فى النقد والأدب

يتم فى عشرة أجزاء

لمنشئيه

عباس محمود العقاد
المحرر بجريدة الاهرام

ابراهيم عبد القادر المازنى
المحرر بجريدة الاخبار

لم يؤلف العقاد والمازنى إلا الجزءين الأول والثانى اللذين طبعا أكثر من مرة سنة ١٩٢١

الجزء الثالث

بقلم

العوضى الوكيل

الديوان

كتاب فى النقد والأدب

يتم فى عشرة أجـــزاء

لمنشـــئيه

عباس محمود العقاد
المحرر بجريدة الأهرام

ابراهيم عبد القادر المازنى
المحرر بجريدة الأخبار

لم يؤلف العقاد والمازنى الا الجزءين
الأول والثانى اللذين طبعا أكثر من
مرة سنة ١٩٢١

الجـــزء الثالث

بقـلم

العوضى الوكيل

PJ
7814
.Q6
1921
v. 3

« إيه ياخفافيش الأدب أغثيتم نفوسنا ، أغثى الله نفوسكم الضئيلة ، لاهوادة بعد اليوم ، السوط فى اليد ، وجلودكم لمثل هذا السوط خلقت وسنفرغ لكم أيها الثقلان » .

عباس محمود العقاد

FEB 5 197

تنبيه ضرورى وهام

تلزم التفرقة بين « شخص » الأستاذ محمود حسن اسماعيل وبين « شخصيته » الأدبية والفنية ، فإن شخصه ينال منا الاحترام والتقدير والمودة ، لزمالة وصداقة قديمة ، أما شخصيته الأدبية والفنية فهى هدف هذا النقد — وإذا كان فى هذا النقد شىء لايروق شخص الأستاذ محمود حسن اسماعيل فإن مبعثه حسن النية أولا ، ومبعثه ثانيا النقد الأدبى البرىء ، ومبعثه ثالثا خدمة النهضة الأدبية والفكرية ، فنعتذر إلى شخص الأستاذ محمود حسن اسماعيل سلفا عما قد يرى فيه مساساً بشخصية محمود حسن اسماعيل .

العوضى الوكيل

الطبعة الأولى — نوفمبر ١٩٦٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

هذه هى مقدمة كتاب الديوان كما نشرت
فى الجزء الأول بطبعتيه سنة ١٩٢١

مُقَدِّمَة

بسم الله نبتدىء (وبعد) فان كان للسكوت عن الخوض فى أحاديث الأدب داع فقد زال هذا الداعى اليوم ، وقد تجددت دواع للكتابة فى أصوله وفنونه ، أخصها الأمل فى تقدمه لالتفات الأذهان الى شتى الموضوعات ومتنوع المباحث والحذر عليه من الانتكاس ، لاجتراء الادعياء والفضوليين عليه ، وتسلل الأقلام المغموزة والمآرب المتهمة إلى حظيرته ، وكتابنا هذا مقصود به مجاراة ذلك الأمل وتوقى تلك العلل ، وهو كتاب يتم فى عشرة أجزاء ، موضوعه الأدب عامة ووجهته الإبانة عن المذهب الجديد فى الشعر والنقد والكتابة .

وقد سمع الناس كثيراً عن هذا المذهب فى بضع السنوات الأخيرة ، ورأوا بعض آثاره وتهيأت الأذهان الفتية المهذبة لفهمه والتسليم بالعيوب التى تؤخذ على شعراء الجيل الماضى وكتابه ومن سبقهم من المقلدين .

فنحن بهذا الكتاب فى أجزائه العشرة ، وبما يليه من الكتب نتمم عملا بدوما ، ونرجو أن نكون فيه موفقين الى الافادة ، مسددين الى الغاية ، وأوجز ما نصف به عملنا — ان أفلحنا فيه — أنه اقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما .

وأقرب ما نميز به مذهبنا أنه مذهب انسانى مصرى عربى : انسانى لأنه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة، ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة . ومصرى لأنه دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية ، وعربى لأن لغته العربية .

فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت فى لغة العرب منذ وجدت اذ لم يكن أدبنا الموروث فى أعم مظاهره إلا عربيا بحتا يدير بصره الى عصر الجاهلية .

وقد مضى التاريخ بسرعة لا تتبدل، وقضى أن تحطم كل عقيدة أصناما عبدت قبلها ، وربما كان نقد ما ليس صحيحا أوجب وأيسر من وضع قسطاس الصحيح ، وتعريفه فى جميع حالاته ، فلهذا اخترنا أن نقدم تحطيم الأصنام الباقية على تفصيل المبادىء الحديثة ، ووقفنا الأجزاء الأولى على هذا الغرض وسنردفها بنماذج للأدب الراجع من كل لغة ، وقواعد تكون كالمسبار وكالميزان لاقدارها فان أصبنا الهدف والا فلا أسف . وحسبنا بهذه المقدمة الوجيزة بيانا .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

فى سنة ١٩٢١ لاحظ العقاد والمازنى أن ريح الأدب راكدة ، وأن المقاييس الأدبية والفنية بحاجة الى التصحيح والتقويم ، ليتبين للناس الرشد من الغى فى مناهج الأدب والفكر ، فتعاهدا على تأليف كتاب فى النقد والأدب سميـــاه « الديوان » ، وقالا أنه سيكون فى عشرة أجزاء ، تصدر تباعا ، ثم أصدرا الجزء الأول من هذا الكتاب والحقاه بجزئه الثانى بعد قليل ، وأعيد طبع الجزئين بعد ذلك .

ثم سكت العقاد والمازنى ولم يقدما بقية الأجزاء العشرة التى وعدا بها قراءهما ومضى على هذا السكوت سبع وأربعون سنة عادت فيها ريح الأدب الى الركود ، واختلت المقاييس الأدبية والفنية اختلالا بينا ، استعلى به الزيف على الصحيح ، بحيث أصبح الأمر يتطلب عقادا ومازنيا آخرين ينهضان بما نهض به العقاد والمازنى سنة ١٩٢١ ، لذلك قامت الحاجة الى وصل ما انقطع من سلسلة كتاب الديوان لتتم الأجزاء العشرة التى وعد بها القراء .

ولا نزعم أننا سنسد مكان العقاد والمازنى فى هذه السبيل ، فهم الرائدان الأستاذان ولكننا نستطيع أن نقرر مطمئنين أننا سنسير على هداهما بلا تقليد .

وقد لانستطيع أن نتم هذه الأجزاء العشرة ، ولكننا واثقون ثقة كاملة بأن هناك من سينهض بهذا العبء بعدنا إن لم ننهض نحن به .

وبالله توفيقنا ، وعليه توكلنا ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

العوضى الوكيل

مارس ١٩٦٨

محمود حسن اسماعيل

شاعر الكوخ ، وشاعر الملك ، وشاعر الوزير ، وشاعر المدير ، وشاعر النار والأصفاد ، الذى يذبح المغرب ، ويسير الشفق فى جنازة الاحـــلام ، ويستدبر القبلة فى صلاة حزينة أو ضاحكة ، وهو الذى سمع نصيحة الأقدمين ووعاها على طريقته ، فلبس لـكل ممدوح لبوسه ، وتزيا لـكل موقف بزيه ، وأوشك أن يتقن دوره لولا خيانة أوقعته وكشفت عن سوآته ، فقد خانه الشعور الصادق فيما يقول ، فانكشف الغطاء ووقع البلاء .

محمود حسن اسماعيل ينفق عن سعة ، ولـكنها كسعة مزيف الأوراق المالية التى لاغطاء لها ، ولا أمل فيها ، أن حافظة نقوده الفنية ملأى بالأوراق المالية ولـكنها الأوراق التى تنقص قيمتها بما كتب عليها ، فهى ثروة موبقة .

أن ألفاظه كثيرة متنوعة ، ولـكنها خرساء صماء ، تقف فى أبياته موقف الأحجار فى المنحت الـكبير ، لا شعور ولا حس ، ولا تفـكير ، ومن ثم يجىء التعبير فهاهة تعي القارىء والسامع معا ، بل تعي القائل نفسه .

سمع صديقنا الأديب الناقد محمد شوقى أمين قائلا يتلو من شعر محمود اسماعيل فى مدح فاروق :

شاديك من قصب الفرادس نايه ... ومن الشذى والطيب عل غناؤه

ومن الصبا نهلت ظلال أراكـة ... مجراء نالجهـــا غفت انداؤه

فغلط الراوى وقال ندت أغفاؤه بدلا من غفت انداؤه ثم حاول أن يعيدها صحيحة فقال له شوقى : لا عليك ، فان المعنى واحد فى الروايتين .

ونحن لا نقدم شعر محمود حسن اسماعيل فى هذا النقد لأنه « مادة » يمكن أن تقوم فهو وشعره أهون علينا وعلى الأدب من أن نبذل فيه جهداً ، ولكننا نريد تبصرة الناشئة والشداة بنماذج زورت عليهم أذواقهم بما أكثرت حولها من الضجيج وما قرنت باسمها من عجيج الادعاء ، وصفاقة الصفقاء ، فنأى بهم ذلك كل النأى عن مراتب الشعراء وأشباه الشعراء .

وصاحبنا محمود بدأ حياته مدرسا فى أحد الكتاتيب بالقرية وهى بداية طيبة كان يمكن أن تنبت ما أنبتت بداية الحجاج وغير الحجاج من معلمى الكتاتيب الذين أرتقت بهم هذه الصناعة الكريمة إلى درجة الوزارة والولاية . ولكنه فيما يبدو لدارسى شعره وقراء نظمه وفيما سمعنا من أبناء قريته الذين عاينوا طفولته ويفاعته قد أصيب بمرض عضال التاث بعده فاضطرب تفكيره ، واختل ميزان حياته ، فلم تعد الدنيا تصل إلى مشاعره صحيحة ، ولم تعد أدوات الوزن والتقدير فى نفسه تؤدى عملهـــا على النحو الذى يجب أن يؤدى عليه ، فاختلطت فى مشاعره الأفكار والأحاسيس ، واضطرب فى وجدانه الوزن والتقدير فمضى يقول فى فاروق (ديوان الملك ص ٥٦ طبعة ١٩٤٦) :

(لولا جلال الهدى أدعوك رحمانا)

وهى كلمة لانزنها هنا بميزان الدين الذى يوبقه ويرديه ، ولكننا نضعها هنا

لتؤكد بها ما ران على مشاعره من أسداف أرته فاروق ، مثل الرحمن الرحيم والعياذ بالله ، فهو احتلاط والتياث قبل أن يكون كفراً .

ومثلها قوله فى فاروق وسيأخذه الله بما قال : أعنى على الإلهام واسمع تعبدى .

وسنعرض للقراء فى الصفحات التاليات ديوانا من شعره ، يمثل الشعر والعصر والشاعر جميعاً ، نعم يمثل شعر الشاعر بما يمثل الشاعر نفسه ، ويمثل العصر ، بما يمثل الشاعر وشعره ، فهذا الديوان إذن هو الشاعر وشعره وعصره ، موجزة أو مسهبة ، فى أدق التفاصيل دقة ، وأوسع الكليات أتساعا .

ونختار الديوان لمزية فيه ، تعين الباحث على وضوح الرؤية أمامه فى البحث وهى مزية للنقد ، لا يستهان بها ، ولذلك نرى الشاعر يحاول جاهداً أن يجر على ديوانه هذا ستوراً كثيفة من النسيان ، وأن يستبعد نسبته اليه .

هذا الديوان هو « فاروق الملك » الذى أصدره الشاعر سنة ١٩٤٦ ، زلفى إلى الملك فاروق فى أوج طيغانه وفساده ، وفى النهاية القصوى من عبثه بالبلاد واستهانته بمقدساتها ، وتتضح المفارقة فى منطق الشاعر الذى يحاول أن يصوغ من النفاق والمداجاة شعراً عندما نقرأ مدح الملك مستنداً إلى حبه للشعب وعطفه على البائسين الحيارى من أبنائه ، بل تفانيه فى حب هذا الشعب وخدمته ، والسهر على مصالحه . وشتان موقفان : موقف الأحرار من أبناء الوطن الحبيب يعدون العدة للاطاحة بحكم فاسد شنيع ، ويضعون أرواحهم موضع الفداء تخليصا للشعب من حكم يذل

الشعب كل الشعب الا بطانة التسبيح والتحميد بالفاسدين الملوثين الباغين ، وموقف شاعر يلتمس الزلفى لدى هذا الطغيان والفساد ، ويحاول جاهداً أن يكون من بطانته وحواشيه ويتخذ من شعره مسبحة ألفية - بل أكبر من ألفية - يخترع بها للفاسد المحامد ، ويزين للشعب المقابح والفضائح ، ويحاول جاهداً بالحاحه - الذى هو جزء من جبلته - أن يغشى على أبصار الناس وعلى قلوبهم .

والشاعر يصدر بعد ديوانه هذا دواوين وكتباً ، فيثبت على غلاف ما صدر منها قبل الثورة اسم « ديوان الملك » بين مؤلفاته ، ولكنه يدرك حرج موقفه بعد الثورة فيسقط اسم هذا الديوان من قائمة مؤلفاته كلما ذكرها على غلاف الكتب وهذه هى المزية التى من أجلها اخترنا هذا الكتاب ، فهو سوأة للشاعر يحاول جاهداً أن يخصف عليها من ورق النسيان والتسلل ، ولكنه فى الوقت عينه صورة صادقة صحيحة ، ولو لم يكن كذلك لما عنى الشاعر بستره وكتمه كل هذه العناية ، ولما اهتم بأنكاره كل هذا الاهتمام .

صدر هذا الديوان العجيب وكتب صاحبه على غلافه مسترفداً « ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٦ وهو عيد الميلاد الفاروقى السعيد » . . وتابعتها على الغلاف هذه العبارة « حقوق الطبع محفوظة لصاحب الديوان » .

وبعد ذلك بعام واحد سنة ١٩٤٧ فى ديسمبر ، صدر للشاعر ديوان أسمه « أين المفر » فأثبت على غلافه أن ديوان الملك مطبوع سنة ١٩٤٥ ، وهى مغالطة لها أهمية عندنا ، وعند مؤرخى الأدب والسياسة معا ، فهو يريد أن يقول أن

الديوان قد صدر ولم تكن الفضائح الفاروقية قد طفت وتحدث بها الناس فى الشوارع وعلى المقاهى ، ومن يدرى لعله لو ذكر اسم الديوان مرة أخرى على غلاف كتاب جديد لقدم الزمن به سنة أخرى أو سنوات .

هذا الديوان يمثل عندنا طرازا من الأدباء والشعراء ينكرون التقليد ولكنهم ينكرونه تقليدا ولا ينكرونه من ذوات نفوسهم ، ومن استيحاء وجدانهم فهم « المقلدون فى أنكار التقليد » ، وهم المادحون الذين ينكرون شعر المدح ، منهما سموه بأسامى التمويه والمخادعة والختال ، ويتم الركوع والسجود فى محراب الملك المأفون ، بصفحة أخيرة من الديوان يقول فيها صاحبه مستكثرا من العطاء على قدر استكثاره من الضراعة والرجاء : « اقتطف الشاعر من الرسائل الملكية الكريمة التى تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بتوجيهها فى بعض المناسبات ، فقرات خالدة توج بها بعض القصائد ، وناهيك بشعر تكون كلمات فاروق تيجانا له لأن أحداً لم يصف فاروقا ببلاغة أو حكمة أو بيان فيما عدا هذا الشاعر الذى جعله رحمانا رحيما ، والذى جعله معبوداً وسأله أن يعينه على الالهام وان يسمع تعبده .

أهون الأشياء عندنا وعند الشاعر نفسه أن نسميه منافقا ، مداهنا ، مداجيا ، وأن نقول أن شعره فى المدح يخرج من بابة النفاق ، سواء كان الممدوح فاروق احمد فؤاد أو محمد محمود أو مصطفى النحـــاس أو سعيد لطفى أو غير هؤلاء ممن مدحهم الشاعر بقصائده ومقطوعاته ، ذلك أهون ولاشك من أن نصمه بتهمة

الخيانة الأدبية التى جعلته يحاول أن يخدع الشعب عن نفسه ، فيزور له الأمور تزويراً لا يفيد منه الا الشاعر نفسه بما أحرز من الزلفى .

والنفاق فى أصله مأخوذ فى اللغة من نافقاء اليربوع ، جاء فى الجزء الثالث من المحيط لمجد الدين الفيروز بادى « والنافقاء والنفقة كهمزة احدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا أتى من جهه القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق ، ونافق فى الدين ستر كفره وأظهر ايمانه» وجاء فى المعجم الوسيط « والمنافق من يضمر العداوة ويظهر الصداقة ، ومن يظهر خلاف ما يبطن » ولا ريب أن النفاق بكل هذه المعانى أمر يسوغ لنا أن نلحقه بشخصية محمود حسن اسماعيل ، لأنه معنى تابث بها وتمكن منها ، فساغ لديه أن يكون كبضاعة السوق حين تبذل نفسها لكل طالب أو كعروس الحلوى يعطيها وليها لكل خاطب ، أو كبواب الفندق يفتح صدره وقلبه لكل طارق .

وما عليه أن يكون كذلك ، وقد أتى على نفسه فيما مدح به فاروقا فى هذا الديوان ، من أولى صفحاته حتى صفحة الختام ، فهو فى الاهداء الى مولاه صاحب الجلالة قد سكب دمه غناء حتى لم يعد فيه دم ، وهو قد أوقف أهل مصر جميعا « على أعتاب ، ملك فاروق سواسية » ، وهو قد سمى الشعب بالفادى للملك وناب عن هذا الفادى الذى لا وجود له الا فى خيال الشاعر المنافق ، فى رفع التحية إلى فاروق وبذلك دمغ نفسه بالنفاق دمغا لافكاك من عقباه فى الفن والحياة على السواء ، وهو قد أضاع نفسه فى تهاويل نفاقه وضراعته وذلته ، فلم

يعد له من وجود فنى يصيح فى أبياته ، إلا ما يكاد يشبه الجنين الخديج : لا تتبين له رأسا من رجل ولا أذنا من عين ولا بطنا من ظهر ولا رأسا من عجيزة .

والنفاق دائماً معنى جديب لا يوحى ، ولا ينبت معه فى نفس المنافق شعر ولا فن ، لأن الفن تعبير عن شعور صادق صحيح ، والشعر نقل عن وجدان واقع ، وهو أمر لا وجود له مع وجود النفاق ، ونحن لا نصف الشاعر بالنفاق إلا وفى ديوانه دليله ، دع عنك الطبع الأنيق على حساب فاروق وقد طبعت منه نسخة بالذهب الخالص وآل أمرها إلى أحد باعة الكتب القديمة ولا ندرى أين هى الآن ؟ ودع عنك الدعاية الواسعة له على حساب البطانة والحاشية ، فهذه أدلة مادية واقعة ، والدليل الفنى فى رأينا أعظم منها قيمة وأشد أثراً فى اقناع من يريد أن يقتنع من القراء .

الديوان يشتمل على خمس وثلاثين قصيدة تسود حوالى مائتين من الصفحات ، والقصائد كلها ذات اطار واحد ، وطريقة واحدة فى المدح والتمجيد والتهليل والتكبير ولنأخذ القصيدة الأولى منه ونبحث عما فيها من المعانى :

— فاروق نور من الله
— لولا نوره وعزته لكنا أمواتا
(وتأمل نوره وعزته هذه)
— الملك تحدوه القداسات
— الله أوحى بهواه الى الناس
— حبه شريعة ودين والشعب يفديه .

— قلب الشاعر متيم بالملك
— مهجة الشاعر تذوب هوى وغراما بفاروق
— الملك يسعد الشعب ويخفف المآسى عن كاهله

— الفاروق هالات من ضياء الله .

— الملك ناسك متعبد خاشع لله .

ثم لنأخذ كيفما اتفق وعفوا بلا اختيار قصيدة «من ذلك الفارس» ص ١٢٤ من الديوان ، وقد وجدناها صدفة تتفق مع الأولى فى الوزن والقافية فماذا قال الشاعر فيها من المعانى ؟ قال :

— الفاروق قدر سار ساقته عناية الله إلى الشعب .

— الشعب يحب فاروق وتندفع الأرواح والمهجات إلى ركابه .

— فاروق يشبه النبي موسى عليه السلام .

— كل تراب يمشى عليه تمشى فيه القداسات .

— ملك يمثل النبوة — الفاروق يواسى الشعب ويضمد جراحه .

— قباب قصر عابدين كعبة الناس .

ثم — لكى يتضح مانريد ولا يظن بنا التحامل — نسوق قصيدة ثالثة تجىء بين القصيدتين السابقتين فى الديوان : تلك هى قصيدة (فى وادى الشعر) ، فماذا قال فيها : —

— أن بيان الشاعر لا يهزه سوى نور فاروق

— نسى الناس فقرهم وضنكهم لما رأوا فاروقا .

— حينما طار فاروق بطائرته أصبح مسبحها كعبة للطيور .

— يطلب الشاعر من فاروق أن يظل تحت تاجه شعبه الفادى .

والقصائد كما رأيت من نسيج واحد ، فصله الشاعر على صور من القول مختلفة ولو ربط القصيدة الأولى بالثانية لما زاد شيئاً على أى منهما .

تعال معى الى أحدى عربات « المترو » فى ليلة شاتية ونثير من الركاب يجلس فيهـــا هنا وهناك ، ومتسول يمد يده الى كل منهم ويقف أمامه دقيقة أو دقيقتين يسأله ويلحف ، يقول عند الأول : لله . . يامحسنين .. حنـــوا على الغلابة .. اللى عند الله باق .. ثم يقول عند الثانى : أعطنى مما أعطاك الله .. اللى عند الله لا يضيع .. أنا مسكين .. جوعان وهكذا ... فهل ترى ثمة فارقا معنويا بين أقوال هذا المتسول أمام كل قاعد من ركاب المترو . . ؟ ذلك هو شعر محمود حسن اسماعيل فى ديوان « فاروق الملك » وإذا صح ذلك .. « وهو صحيح لاريب فيه .. كان الديوان نفاقا واضحا ، ورياء فاضحا . .

أى دليل أدل على النفاق من هذه المعانى المتشابهة بين القصائد تأخذ بحجز كل منها ، وتضرب عليها كلها بفسطاط يسد عليها منافذ الطريق الى الفن الأصيل.

أن هذا التشابه مبعثه شىء واحد ، هو أن هذه القصائد لا تحمل من المعانى إلا ما يحمله الحاح المتسول على ركاب المترو فى الليلة الشاتية ، كلمات فى كلمات ليس وراءها طائل من الشعور أو رصيد من الوجدان .

يجرنا هذا الى بحث آخر ، ربما كان جديداً فى مناهج الدراسة ، ذلك أن شعر محمود حسن اسماعيل بما يطويه من خواء فى رصيد الوجدان يقتضيه — لكى يخفى هذا الخواء الوجدانى — أن ينثر عليه تهاويل ألفاظ براقة ، وعبارات كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

تعال مثلا الى قوله من قصيدة عنوانها « فاروق » : —

إنى أغنى ومابى حاجة لفم ... يروى وقلب بما يرويه يعتبر
هذا جناحى فليطرح حبائله ... صياد أرض النجوم الخاتل الحذر
طيرت فى الافق أسرابى فحيرها ... ان الفضاء سجين خانه النظر
فحومت ورمى الأفلاك هازجها ... بنغمة لك فى توقيعها أثر
ألست من شمسها فى مثل واهلة ... من الضياء عليها حوم البشر
النيل حولك يجرى ما بشاطئه ... إلا هوى لك طى الموج مستتر
ضفافه الخضر والأحلام تسكنها ... لنور تاجك فيها معبد عطر
وقالت الريح قولا منذ ما نزلت ... كل الرسالات لم تهتف به سور
ثمائم وأساطير وقافلة ... من التهاويل لم تلمح بها صور

فانت ترى أن الشاعر اختار ألفاظا ، وسلكها فى سلك من نظمه ، واستوهبها ما لايستطيع سلكها أن يهبه من المعانى ، فبيته مثلا :

طيرت فى الأفق أسرابى فحيرها ... أن الفضاء سجين خانه النظر

لم نستطع له تفسيرا ، الا أن للشاعر أسرابا من الطير حائرة فى فضاء سجين يخونه النظر لأنه أعمى ، صور لا يمكن أن تلتقى أطرافها ولا أن تتجانس أوائلها وأواخرها ، وتأمل الهوى الذى هو فى الشاطىء وفى طى الموج فى وقت واحد ألا ترى أن هذا تخليط محموم وهذيان مختلط . ومن أمثالها فى شعره قوله من قصيدة ، « وكانت له ظمأى » فى فاروق حين زار الاسكندرية عقب غارة عليها :

أغنى على الالهام وأسمع تعبدى ... تر الدهر مسحورا بما ألهمت يدى

فانه يصور لك الشعر عملا يدويا تلهمه اليد ، وهى صورة فيها من مسخ الشعر وبخس قيمته ما فيها .

وقوله فى فاروق :

وهكذا أنت للاوطان شاطئها إذا ظلام الليالى السود غشانا

الله أكبر يافاروق ماعجب أن يرتجيك ضلال الدهر شطآنا

ودع المبالغات السخيفة القذرة وأطرحها جانبا ، وهات الصور المعروضة فى هذه المنظومة تجد صوراً لا يمكن الامساك بها فهى كالماء يخرج من بين فروج أصابعك كلما حاولت أن تقبض عليه ، وصدق الله العظيم فى القرآن آية تصف دعاء الكافرين آلهتهم وهم لايستجيبون فتقول :

« له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال . »

شعر المناسبات : —

ونتقدم قليلا فى الديوان لنجد أن لكثير من قصائده مناسبة ، فمناسبة الأولى عيد الميلاد ، ومناسبة الثانية عيد الجلوس ـ أى جلوس الملك على عرشه ومناسبة الخامسة زيارة الملك لأسوان ، فى يوم عيد ميلاده ، ومناسبة الثامنة يوم المستشفيات ومناسبة التاسعة مشروع الحفاء ، ومناسبة العاشرة زيارة

الصحراء الغربية ومنح فاروق هبات للراغبين فى الزواج من البدو ومناسبة الثالثة عشرة زيارة الاسكندرية بعد إحدى الغارات ، ومناسبة الرابعة عشرة افتتاح الخط التليفونى بين مصر والسودان ومناسبة الخامسة عشرة افتتاح المعهد الدينى بأسيوط ، ومناسبة السادسة عشرة لقاء فاروق بعاهل السعودية ، والثامنة عشرة لمناسبة حادث القصاصين ومناسبة العشرين نجاة فاروق من حادث القصاصين ، ومناسبة الحادية والعشرين عودة فاروق بعد الاصطياف من الاسكندرية إلى القـــاهرة ، ومناسبة الثانية والعشرين أنه طاف حول قصر عابدين طواف القدوم من الصعيد والرابعة والعشرين الزفاف السعيد ومناسبة القصيدة الأخيرة فى الديوان افتتاح نادى فاروق الأول الرياضى ولو أننا أردنا أن نحصى كل المناسبات التى يمكن أن تقع فى حياة ملك لما استطعنا أن نزيد على ذلك شيئا ، ومعنى ذلك ، أن الشاعر قال شعره فى مناسبات كثيرة تلتقى وتلتف حول مناسبة واحدة بغير تثنية أو جمع هى مناسبة وجود فاروق على عرش مصر وامكان استرفاده واستمناحه والزلفى إليه واقتناص ما يمكن اقتناصه من الصلات وعلى الأقل صيت الصلة بفاروق وحاشيته والمقربين إليه .

وتسمع محمود حسن اسماعيل فى المجالس فلا تسمع إلا إنكاراً لشعر المناسبات وزراية به وبقائليه ، فهو ممن يصدق فيهم قول الشاعر : —

يحـــرم فيكم الصهباء صبحاً ويشربها على عمد مســـاء
إذا فعـــل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لاجهة أســـاء

وقد حارب العقاد والمازنى وأصحابهما شعر المناسبات ، وشددا النكير عليه وعلى قائليه ، فأى شعر مناسبات كانا يحاربان ؟

أنهما حاربا شعر المناسبات التى لا تتصل بالوجدان ولا تنبع من العاطفة ، ولا تستلهم حسا صادقا ، وإلا فلكل قول مناسبة ، حتى الغزل وحتى الفخر وحتى الهجاء ، وما مناسبات الغزل إلا الوصل والصد والقرب والبعد ، والتجنى والدلال ، وبذل الوعود وخلف المواعيد ، وسائر ما يتصل بالعاشقين من قريب أو من بعيد ولكل قول فى الدنيا مناسبة تدعو إليه وتستدعيه ، وإلا كان لغوا وهباء

ونحن لا ننكر شعر المناسبات لأنه شعر مناسبات ، ولكننا ننكر فيه مايفوته الوجدان الصحيح ، والشعور الصادق ، وننكر منه ما هو تقليد لا ابتكار فيه ، وننكر فيه ما هو كقول بواب الفندق الذى لاينبع من عاطفه ولا شعور .

ونحن من هذه الناحية لا ننكر شعر المناسبات فحسب ، ولكننا لا نعد من جملة الشعر الغزل الذى لا يصدر عن صدق ، والوصف الذى لا يبعثه تأثر ولقد روى العقاد فى أحد كتبه أن قوما قرأوا قصيدة فى وصف الابل والصحراء فأنكروا أن تكون من المذهب الجديد وعدوها ، بابا من الشعر ، لا يجوز أن يطرقه العصريون ثم علق العقاد على ذلك بقوله :

« ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد فى انكار التقليد ، لأن وصف الصحراء والابل انما يحسب تقليدا لا ابتكار فيه اذا نظمه الناظم مجاراة للاقدمين واقتباسا على الدواوين .

أما الرجل الذى يعيش فى الصحراء . أو على مقربة منها . ويركب الابل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم فى هذا

المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جريا على رأى الآخرين . اذ هو التقليد بعينه فى التصور واختيار الموضوعات ، وما المقلد الا من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر الى دليل .

فهناك اذن « مقلدون » فى كراهية التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون وربما كان هؤلاء أضر بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم . »

ومن هذه البابة — بابة التقليد — يدخل شعر المناسبات عند محمود حسن اسماعيل لأنه — فى أحسن حالاته — مقلد الأقدمين الذين مدحوا وبالغوا ، وحسبوا أن المبالغة كلما اشتدت عند ذلك من محاسن أشعارهم وغرر أقوالهم ، ولا جدال فى أنك حين تتعقب المناسبات الملكية التى كتب فيها منظوماته — ولا نقول قصائده — تدرك أنه كان يستوحى دفتر التشريفات الفاروقية ويعرف منه تنقلات فاروق ورحلاته ، فيتابع كل نقلة منها بقصيدة أو مقطوعة تكون شاهدا على أنه ديدبان شعر يقظ ، فتحسن فى حقه حينئذ الشهادة لدى من يثيب مواكب المسبحين بحمد صاحب الجلالة .

وتعال الى قصيدته « ركاب عيسى » ص ٤٧ من ديوان « فاروق الملك » التى نظمها عقب زيارة فاروق للصعيد أيام وباء الملاريا واقرأ معى : —

فاروق لو أن للايام أجنحـــة رأيتها بالهـوى تأتيك أسرابـا
فاروق حبـــك سحر لم تدع يده فى الشاطئين حشا ألا وقد ذابا

فاروق نورك خمـــر صاغ بارئها سرائر الناس للعشاق أكوابا
قال الصعيد وقد كرمت ساحته نزلت بالركب أرواحا وألبابا
تسرى فتنشدك الدنيـــا أغانيها زهراً وطيراً وأمواها وأعشابا
قالوا روى الموت بلواهم فقلت لهم ركاب عيسى يرد الموت كذابا

وهكذا تجرى أبيات القصيدة مدحاً يعلو به التخيل فيجعل الأيام أسرابا تأتى اليه لوأن لها أجنحة ، وهو معنى لايفيد شيئا ولايدل على طائل فضلاعن أنه قديم منتهب ، ثم يجعل حب الشعب لفاروق سحراً يذيب حشاه ، ثم يجعل نوره خمراً تشربها سرائر شعبه العاشق وأخيراً يجعل ركابه كركاب عيسى يحي الموتى وعيسى هو الذى يحي الموتى لاركابه ، وهى معان كما رأيت لا توجه فاروقا ولا تلفت نظره ، ولو أن الشاعر كان صادقا لا لهمته فطرته هنا أن يقول لفاروق أن هذا الحب (إذا صح) من الشعب ذخيرة يجب أن تحافظ عليها ، ولكنه لايمكن أن يقول هى النفاق والملق والزلفى ، ولا يمكن أن ينطق وعيناه تنظران الى ناحية أخرى ذلك لأنه لاينطق عن صدق ووجدان وإنما يقول ذلك لأن حب الشعب لفاروق شىء من أباطيل الشاعر الكذاب ليس له ظل من الحقيقة .

وإذن فالمسألة اقتناص مناسبات وافتعال مواقف لا أكثر من ذلك ولا أقل ويبقى الديوان بعد ذلك غناء فى غناء ، أو صفحات من ديوان التشريفات الفاروقية كان يذيعها ديوان كبير الامناء فيأخذ الشـــاعر مادتها ويصوغ منها أشعاره ومقطوعاته .

المبالغات : —

وصاحبنا محمود حسن اسماعيل كسائر صانعى الامداح المتملقة من الشعراء يحاولون جاهدين أن يغطوا على تملقهم ، وأن يخفوا نفاقهم ، ولقد بينا فيما سلف من القول ، أن محموداً سلك إلى ذلك مسلكا فهول من خياله تهاويل ، ووضع فوق الصورة عشرات من الصور ، ليتلهى الناس بالصور عن هذا النفاق ، ولكنه لم يستطع لأن مادة النفاق كانت من القوة والسيطرة على الشاعر وشعره بحيث عجزت هذه الصور عن تغطيتها وستر مخازيها ، ولأن فاروقا كان فى هذه الفترة المظلمة من تاريخ مصر بغيضا إلى الشعب كله ، يلعنه الطلبة فى مظاهراتهم ويحطمون تماثيله المقامة فى ساحات كلياتهم ، وينادون بالويل والثبور له وللفسدة والقوادين من حاشيته وبطانته .

ولقد أدرك شاعرنا المنافق هذا ، فاتجه — مع هذه الوجهة — وجهة جديدة لعلها تنفع ، ذلك أنه مضى يبالغ ويبالغ ، ويأتى بمعانى الكفر والزندقة والضلال ، ولم يدع نبياً يعرفه إلا وقد شبه به فاروقا أو شبهه بفاروق أو جعله فى خدمة فاروق على أية صورة ، فهذا سليمان بن داوود النبى العظيم ، يشتغل حاديا للأغانى التى تقال فى مدح فاروق : —

قوافل من أغان أنت ملهمها ... وأنت فيها الهوى والشجو والذكر
حداً خطاها سليمان وطاربها ... بساطه وهدى أرسانها القدر

وهذا والده الوقور « داوود » :

كل الطبيعة فى الشطين زامرة ... وأنت داوودها لم تروك السير

وهذا النبي كليم الله موسى :

آفاق مصرك سيناء وأنت لها موسى يشعشع منك الحالك العكر

وهذا المسيح عيسى بن مريم يقول عنه أوفيه :

كأنما أنت من عيساه خاطرة يشجى بزورتها الأنجيل والسور

قالوا درى الموت بلواهم فقلت لهم ركاب عيسى يرد الموت كذابا

فى دجى كوخ كأحشاء الضريح لحت فى ظلمائه مثل المسيح

بزورة كنت عيساها وبى خمدر لولا جلال الهدى أدعوك رحمانا

أى أنه لا يريد أن يكتفى بتشبيهه بعيسى عليه السلام فأحب أن يدعوه بالرحمن لولا جلال الهدى .

ولم يكتف بذلك ، فحين يعييه ذكر اسم نبى بعينه ، يضفى النبوة مطلقة بلا تشبيه ولا تمثيل على فاروق . . اقرأ مثلا : —

قبس النبوة فى جبينك والعلا رفعته للدنيا جبين قياصر

عودى وأحكى لى عن نجوى سمعتها الريح على رضوى

لجراح الشرق غدت سلوى وحديثا للدنيا يروى

عن أول ضيف للعرب

تبعته جبالهم كنبى

مجهول الزورة مرتقب

فاروق خطوك فى الرمالى نبوة للخير فى يدها البشير العاجل

ويختار من صحابة الرسول ﷺ عمر بن الخطاب فيشبه به فاروق فى مواضع متفرقة من ديوانه ، ويقول : —

هذى موازين شعب أنت سائسه فاحكم فانك فى أيامه عمر

فسريت للأعراب تخطر بينهم فلكا على قبب الفلا يتناقل
بشمائل عمرية سطعت بها بالصولجان على الجبين مخايل

وتعال معى إلى القداسة التى أسبغها الشاعر على كل شىء يتعلق بفاروق حتى التراب الذى يدوسه بقدميه ، وأقرأ : —

هذا جلالك يا فاروق ، كل ثرى تمشى عليه مشت فيه القداسات
ملك فى شباب العمر تحسبه لحكمة الرأى تحدوه القداسات

وأشد للتاج الذى فى ظله تخشع الأفلاك قدسا واحتشاما

حب مداه إلى القداسة ينتهى لو كان للحب المقدس آخر

ضفافه الخضر والأحلام تسكبها لنور تاجك فيها معبد عطر

نبوة بمعانى الخير راح بها وأديك تفعم شطيه المروءات

وأقرأ هذا العجب فى وصف زيارة فاروق لقبر الرسول الأعظم :

والنسك تفوح مباخره وتضوع لديه مجامره

يمشى والطهر يساوره وجلال الملك يسايره
والعطر يشق له السبيلا
ويذيب على يده القبلا

أى أن عطر قبر الرسول الكريم يذوب قبلا على يد فاروق . . !!

ومن المبالغات ما يتعلق بشعر الشاعر نفسه ، توصلا إلى المبالغة فى أمداح فاروق ، أقرأ معى :

شعر ضياؤك يجرى فى مسابحه كما جرت بضياء الطور توراة

فاروق... هذا الذى توحى السماء إلى نأى يحس ويستوحى وينفجر

شاديك من قصب الفرادس نايه ومن الشذى والطيب عل غناؤه
ومن الصبا نهلت ظلال أراكه سجواء ناجيها غفت أنداؤه

أن لم أر الأفلاك تصغ لزهرى وأنا أغنى التاج ما أنا شاعر
أنا مرعش الأسرار فى كبد الدجى والليل عراف الظلام محاذر
شعر هو الدم لو لمست خياله فى الروح أحرقنى الهدوء الشاعر
أرسلت فى فاروق آية حبه أعجاز فن وحيه يتواتر

وهذا الذى عرضناه عليك لانريد به أن نصفه بأنه كافر أو ملحد أو زنديق أو مشرك بالله ، فما إلى هذا قصدنا ولا كان همنا شيئا من هذا القبيل ، أنما همنا هنا أن نؤكد أن محمودا — حين نافق فاروق — وأدرك من دخيلته أنه منافق —

أراد أن يغطى على سوأته ، وأن يخدع الناس عنها ، فأكد ألف مرة أنه صادق الشعور قوى الإحساس بما يقول ، وما ظنك بشاعر يقول أنه لايهزه للقول إلا نور فاروق ، ودون هذا وتنقطع أسباب الايحاء والاستيحاء والالهام والاستلهام ، ويسكت الشعر ويبطل الكلام . ولو أخذناه بما قال لاسقطنا كل دواوينه ، ما سبق منها ديوان فاروق وما لحق به ، من عداد الشعر ولوقف الشاعر فى إيوان الشعراء عاريا لا يغطى سوأته إلا ديوان فاروق وهو ثوب رياء رقيق يشف عما تحته ، وحينئذ يصدق فيه قول من قال : —

ثوب الرياء يشف عما تحته فاذا استترت به فانك عار

وتبدو من لسانه بادرة عجيبة يتولى علماء النفس الفحص عنها ، فاذا هى مفتاح شخصيته — ان كانت بحاجة إلى مفتاح — فهو يصف ركاب الملك فى الصحراء الغربية والبدو من حوله وهو ينثر عليهم النقود الفضية وكل هذا شىء عادى جدا ، ولكن الشىء غير العادى هو أن يشبه نقود الفضة بالمشاعل :

انى سريت رأيت نثرة فضة هى فى ليالى البائسين مشاعل

وقد يقوم متفيهق فيدافع فيقول نعم وما عليه اذا شبه الفضة فى ليل البائسين بالمشاعل فهى تتلألأ أمامهم ، ونقول نحن أن المشاعل رمز الى الهداية والرشاد وصحة المنهج ووضوح السبيل ، فهل تكون النقود الفضية هى التى تهىء للاعراب فى بواديهم كل هذه المعانى النبيلة ؟

والحق أن الشاعر كبا كبوة لانهوض له منها ، لأنها شرحت ديوانه كله من أوله

حتى آخره ، وبينت أن مشاعله التى يرتجيها للهداية والرشاد ، وصحة المنهج ووضوح السبيل ليست الا النقود ، فهى عنده مفتاح كل شيء وهو معنى من معانى العوام لا يسقط عليه شاعر نبيل ، وحينئذ يتضح لنا لماذا نظم الشاعر ديوانه ، ولماذا وقف على باب كبير الأمناء ليتلقف البلاغات الرسمية فينظمها شعرا .

شاعر الملك :

ولشاعر الملك فى مصر حديث طويل منذ عهد طويل ، وقد كان شوقى رحمه الله شاعر عباس الثانى واليه وجه كثيرا من مدائحه وكان يفخر فيقول :—

شاعر الأمير وما بالقليل ذا اللقب

ونافس شوقى على مكانه كثيرون لم يكونوا فى مثل قوته ولا فى مثل شاعريته فاخملهم لدى السلطان وعلا لسانه لديه على كل لسان ، وأصبح الشعراء يمتدحونه ويتقربون اليه لتنفق سوقهم عند مولاه الأمير ، وتأمل قول الشاعر عبد الحليم المصرى :—

لقد اخلصت ياشوقى ودادى اليك وانك توسعنى نفورا
فثق بيدى واذكرنى بخير اذا ما جئت مولانا الأميرا

ثم قامت الحرب العالمية الأولى وخلع عباس الثانى ، ونفى شاعره شوقى الى أسبانيا وتولى السلطنة حسين كامل ، فتقرب اليه عبد الحليم المصرى وما لبث أن أصبح شاعر القصر وهو ما كان يحلم به وظل مرموقا يؤمل المستقبل الزاهر

لولا أن دهمه الموت فتوفى فى شهر يوليو سنة ١٩٢٢ وهو فى الخامسة والثلاثين[1] .

هذا ما يقوله الأستاذ محمد مصطفى الماحى فى مذكراته الأدبية الملحقة بديوانه ، لكن مجلة أبولو تنشر فى عددها الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ مقالا يقول بغير هذا ، يقول فيه كاتبه (كان لما نشرته أبولو عن جائزة الملك جورج لشعراء الامبراطورية البريطانية أثر بليغ فى الأوساط الأدبية فى مصر ولعلى صادق فى الأعراب عنه بهذه الكلمة . . كان المغفور له أحمد شوقى بك يشغل مثل هذا المنصب — شاعر الملك — فى مصر أيام سمو الخديو عباس ، ولما خلع سمو الخديو ونفى شوقى بك بقى هذا المنصب شاغرا على الرغم مما تجلى من عطف عظمة السلطان حسين ثم من عطف صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول على الفنون عامة وعلى الشعر خاصة ، وقيل أن ذلك راجع لاعتبارات سياسية لا غير ، حتى إذا انتقل شوقى بك إلى جوار ربه ومضت سنة على وفاته عدنا نسمع فى الأندية الأدبية عن اهتمام صاحب الجلالة بتشجيع الشعر والشعراء فى اختيار أحد أعلامهم لهذا المركز الأدبى على ما هو معهود فى انجلترا ...)

فعبد الحليم المصرى إذن لم يكن شاعر الملك على هذه الرواية ، ولعل كثرة أمداحه السلطانية جعلت الناس يظنونه شاعر الملك وما هو به .

ثم عين عبد الله عفيفى أماما للملك ، وأخذ ينشر شعره فى الأهرام أمداحا

(١) ديوان الماحى ص ٥١٨

فى الملك ، تتصيد المناسبات وتنافسه فى ذلك مصطفى صادق الرافعى فتنشر أمداحا ضارعة متملقة فى المقطم ، وأخذ كل منهما يكيد للآخر ليؤخر نشر شعره أو ليمنع هذا النشر ، وكانت حروف شعر كل من الشاعرين تجمع فى المطبعة الأميرية ثم ترسل إلى الصحيفة المختصة لتنشرها فى صدرها .

قلت فى كتابى « على السفود بين العقاد والرافعى [1] » : حدثنى الأستاذ محمد عبد الغنى حسن قال : أنه كان يزور الأستاذ عبد الله عفيفى ذات مرة بمكتبه بالقصر ، ورفعوا اليه مسودة بقصيدة له ستنشر فى أحد الأعياد الملكية فراعه أن بنط الحروف — أى حجمها — فى هذه المرة قد صغر فثار وزمجر واتهم الرافعى بأنه اتصل بعمال المطبعة ودبر معهم له هـــذه المكيدة لتظهر قصيدة الرافعى فى بنط أكبر من بنط قصيدة عفيفى وكانت القصائد الملكية على ذلك العهد تصف حروفها فى المطبعة الأميرية أو فى مطبعة دار الكتب ثم ترسل رصاصاً إلى الصحيفة لتوضيبها فى الصفحة الأولى ثم نشرها .

وامتلأت رسائل الرافعى الى صديقه ووليه محمود أبو ريه بلعن عبد الله عفيفى وسبه ، ولا شك أن ذلك كان صدى لشدة المنافسة على القرب من الملك والاضافة اليه .

وفى أواخر الثلاثينات من هذا القرن ظهر فى الميدان فارس جديد من عباد هذا اللقب ، هو محمود حسن اسماعيل الذى اتصل بفاروق على يد محمد محمود ولقيه أول مرة فى ٢٣ ديسمبر سنه ١٩٣٧ والقى بين يديه قصيدة خرجت عن

(١) هذا الكتاب أعد للطبع منذ نحو عام ولكن وقفت عوائق دون ذلك ولعله يصدر قريبا .

مناسبتها الى مدح فاروق فان الاحتفال كان للجمعية الخيرية الاسلامية ولكن الشاعر جعله إحتفالا بنفسه شغفا باللقب البراق « شاعر الملك » .

وأصدر محمود حسن اسماعيل فى سنة ١٩٣٨ ديوانه الثانى « هكذا أغنى » فجعل إهداءه الى فاروق مقرراً أنه يستلهم وجهه الكريم هذا الشعر ، ولم ينس نفسه — كعادته — فى آخر الاهداء فصاح قائلا : —

أن كان هـذا وحظى فيه أوله ماذا يكون بظل العرش آخره

فهو هنا يسترفد ويستزيد ، ويعلن أطماعه على مسامع ممدوحه .

ثم استفتح الديوان ببضع قصائد فى مدح فاروق جاءت كلها على النمط الذى تحدثنا عنه فى صدر هذا الحديث .

ولكن يظهر أن هذا القدر من الشعر ، لم يبلغ الشاعر أمله فى اللقب أو فى الصلة ، فاستجمع قواه مرة ثانيـة ونظم ديوانا كاملا فى مدح فاروق هو « فاروق الملك » فى نحو مائتين من الصفحات ، وكأنه يقول له : « لم يكفك ولم يرضك ركن فى ديوان فإليك ديوانا كاملا ... » .

وظل هذا الأمل يراود محمود حسن اسماعيل ، أمل تعيينه شاعراً للملك ـ لست أدرى على أى كادر وبأية فئـة — حتى قامت ثورة يوليـه ١٩٥٢ التى عاجلت الديوان واللقب والشاعر جميعا : فاما الديوان فقد أعشاه نورها أو أعماه فاختفى فى سراديب الظلام وحاول الشاعر جمعه وإعدامه ولكن التاريخ قط يده دون هذا ، وأما اللقب فقد أصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا وأما الشاعر فقد استبدل وجها بوجه وقبلة بقبلة . . وإذا لم يكن بد من إضافة

إلى ما تقدم فان الشاعر محمود حسن اسماعيل حين أراد أن يقدم ثبتا بمؤلفاته على غلاف كتبه التى طبعت بعد الثورة أسقط من بينها اسم هذا الديوان فصار كالغلام الذى ينكر بنوته أبوه أو كاللقيط الذى نبذته أمه

وهكذا ضاعت أحلام النفاق ، وباء جهد عدة أعوام من نسج الشعر وتأليف الكلام بالفشل ولله فى خلقه شؤون .

وإن تعجب فعجب أن يجىء شاعر هذا شأنه فيتمسح بعد ذلك بالشعب وبقضاياه الوطنية ، والقومية ، فيرفع الصوت عاليا ، وينظم فى ذلك ديوانا بعد ديوان — لعل كثرتها تنسى الناس — أو لعلها تقنع الناس بأنه استقام على الهدى ودين الحق ، ولكن الحظ النفسى الذى بدأ مع الشاعر منذ أنفرجت شفتاه عن نظم الشعر فى المدير ثم فى الوزير ثم فى فاروق والذى أمتد على عرض حياته وطولها عشرات السنين لا يمكن أن يزول هكذا بسرعة وبمجرد أعلان ثورة يوليه ١٩٥٢ فليس الحظ النفسى « بوصلة » يمكن تغييرها بالارادة الذاتية ولا هو لافتة ينتهى الأمر برفعها ووضع غيرها مكانها ، وإنما هو شىء يرتبط بالدم واللحم ويختلط بالأنفاس ويمتزج بالخلجات والخطرات ويأخذ من حياة صاحبه مأخذ الحياة منه .

وأعجب من هذا أن يجىء بعض مسترزقى الاذاعة ـ حيث يعمل ـ فيسموته شاعر الحرية والثورة فلا يقنعون حتى أنفسهم بما يقولون من الهراء .

وقد يعتذر له المعتذرون بأنه نظم تحت الرهبة ، ووضع فى ظروف لم يجد معها بدا من المدح والنفاق ، والجواب على ذلك أن هذا العذر إنما يقبل من مثل أحمد شوقى وعبد الله عفيفى لأنهما كانا من الموظفين بحواشى الملوك ، فكأنما

كان شعرهما فى الملوك جزءاً من عملهما الرسمى الذى كانا منه يرتزقان ، فهما عليه يحرصان ، أما محمود حسن اسماعيل فقد كان طليقاً من هذا القيد ، بعيداً عن مثل هذه الظروف ، ومن ثم جاء نفاقه أصيلا آخذا من فطرته الفنية متصلا بها غير خارج عليها . وحق لنا أن نشك فى شعره كله ، بل أن نقطع قطعاً جازماً بأنه لا يصدر ألا عن هذه الفطرة المريضة وعلى هذا الأساس وحده يجب أن يتناوله النقاد إذا كانوا يريدون أن يتبينوا جلية الأمر فيه . فهذه هى النفسية وهذا هو الشعر : مرآة وصورة أو صورة ومرآة .

وإذا كان بعض الشعراء من الاصلاء قد مدحوا فاروقا فانما كان فى أول حكمه وفى إنتظار استقامته ، على إنهم إنما وجهوه بامداحهم ورسموا له بها الطريق الصحيح لحكم الشعب ولكنه لم يستفد ولم يستمع ، على أنه لما انحرف وتجافى عن الطريق الصحيح ، تجافت أشعارهم عنه ، واقتصر مدحه على شرذمة قليلين وعلى رأسهم محمود حسن اسماعيل .

همزات

وإذا كنا فيما سلف قد رسمنا صورة عامة لشعر محمود حسن اسماعيل فى ديوانه « فاروق الملك » وحاولنا أن نلقى عليها ظلالاً من حياته أخذا بمذهبنا فى أن الشعر صورة الشاعر وترجمان ضميره وأخلاقه وجماع حياته ، فأننا الآن نرى أن نضع بعض الأبيات موضع النقد لتكون أمثلة إذا أريد أن يكون النقد

على طريقة الأبيات ، ونحن مع هذا لا نرى مانعا من عرض بعض صوره والتعليق عليها ونبدأ بعرض صـــور من احالات المعنى لديه يقول فى مفتتح ديوانه : —

نـور من الله ترعاه العنايات ... هاتوا أغانيكم فى حبه هاتـوا
وطاولوا هامة الدنيـا بعـزته ... فنحن من دونها فى الأرض أموات
ورددوا فى ضحى الوادى بشائره ... فما لنا غـــيرها للمجد آيـات
وامشوا كما خطرت مصر بساحته ... نشوى ترنح جنبيها الصبابـات
غدا هواها دما يجرى بمهجته ... كما جرت بحياة البحر موجـات

والبيت الاول يقول أنه نور من الله وأن العنايات ترعاه فلماذا جمع العنايات أن كان يريد بها عناية الله وجمعها جائز صرفا ولكنه غير جائز ذوقا وشعراً، وإذا كان يريد بها عنايات الشعب فهل يحتاج نور الله إلى هذه العنايات لترعاه ؟ ثم يأتى الشطر الثانى عجيبا ومنسلخا عن الشطر الأول، إذ لا علاقة بين القولين ، ولا سبب يدعو إلى طلب أغانى الحب له ، والمفروض أن تطلب له أغانى الولاء أولا تطلب له أغان على الاطلاق ، ثم يأمر الشاعر الناس أن يطاولوا هامة الدنيا بعزته — لأنهم بدون هذه المطاولة أموات ، وثمة احالة خفية فكيف يطاول الأموات الدنيا — لأنهم قبل هذا الطلب منهم لم يطاولوا فهم أموات ، وإذا كانوا أحياء فلا حاجة بهم الى هذه المطاولة التى تجعل من الأموات أحياء .

وفى البيت الرابع تركيبة غريبة ، لأنه يأمر أهل مصر أن يمشوا بساحته كما مشت مصر نشوى ، وبماذا أراد بلفظه مصر إن لم يكن قد أراد أهلها ؟ أتراه

قصد حيطانها وغيطانها ومبايعها وشوارعها ، فكيف مشت هذه اذن ؟ وما طريقة مشيها حتى يمكن أن يمشى الناس كما مشت؟ الحق أن الشاعر مضلل ،ضال، أوهو ضال مضلل ، لأن المجاز فى مشت مصر واضح وهو أن أهل مصرهم الذين مشوا لا مصر ، ومن ثم تتضح الجهالة فى اصدار الأمر الى الناس أن يمشوا كما مشوا ...

والبيت الأخير أعجب وأغرب : فهول يقول ان هوى مصر يجرى دما فى مهجة فاروق كما جرت بحياة البحر موجات،واذا كان لكل تشبيه طرفان يلتقيان ولا يبتعدان ويتجاذبان ولا يتنافران فهل اتضح ذلك من تشبيه أخينا النابغة ؟ وكيف تجرى الموجات بحياة البحر ، وهل البحر شىء غير الموجات ؟ وإذا كان البحر شيئا غير الموجات فأى شىء يكون ؟

ويقول :

من ذلك القدر السارى تظلله أنى مشى من يد الله العنايات

وفى هذا البيت ملحوظتان : الأولى أنه وصفه بالقدر السارى ، فما وجه حاجته اذن بعد هذا الى ان تظلله عنايات ، فهو قـــدر — كما يزعم — وطبيعة القدر كما نفهم لا تحتاج بعد هذا الوصف الى ان توصف بأنه تظللها عناية ، والثانية أن محل العناية العين لا اليد ، وكان الصحيح أن يقول : تظلله من عين الله لا من يده ، فالعين رمز الرعاية واليد رمز القوة ، هكذا ورد فى كلام الله ، وفى كل كلام بليغ منذ قيل قول عربى حتى اليوم .

ويقول :

شباب ملكك للأوطان أغنية على صداها جميع الناس قد سكروا
إن كان فرقنا رأى فأنت لنا قلب لديه ذنوب العقل تغتفر
فاجمع هوانا وطر للنجم محتشداً فما يزال هناك المجد ينتظر
عدلت فى الحب إذا سويت خطوته فكل أرض لها من سحره أثر

فانظر إلى قوله شباب ملكك ، وملكه ملك قديم، وتشبيهه بالأغنية قد يكون مقبولا لولا أنه جعلها أغنية تسكر الناس فيذهلون عن أنفسهم ، ولا شك أنه فى البيت الثانى قد جعل الفرقة من ضلال العقل ، فكيف يكون فاروق قابلا للناس يغتفر ماجاء من ذنوب عقولهم ، إلا أن يكون قلبا يعصاه العقل أو هو يعصى العقل ، ومن ثم فقد هجا من حيث أراد المدح لأنه جعل الملك فى جانب والشعب فى جانب ولئن كان هذا هو الحق الذى أجراه الله على لسانه فانه شىء لم يقصد إليه وإلا لطرحه واستغفر ألف مرة .

ويقول : —

ومثل شعبك يافاروق كوكبة من الطيور جفاها الظل والشجر
فى قارظ من سهوب السيف يرهبه خطو النسيم رمى أسرابها القدر
فزفزفت ونلاشت فيك لوعتها وأنت روض بقلب الفجر مزدهر
ومثل عطفك يافاروق شادية من الأنامل يشكو تحتها وتر
تشجى وتطرب لاتدرى الذى سحرت ولا الذى موشك بالحن ينسحر

تشفى وتبرىء لاندرى كما شربت طب الربيع جراح دسها زهر
ومثل عطفك يا فاروق مزعجة من الليالى تهاوت حولها النذر

شعب فاروق هنا كوكبه من الطيور (والكوكبة للناس والخيل فقط ولا تكون للطيور) تقف فى غير ظل ولا شجر فى صيف قارظ (يريد شديد الحر ولم تتحدث بمثلها لغة العرب وانما قالوا قائظ) يخافه النسيم ، وتلك الكوكبة من الطيور قد رمى القدر أسرابها فزفزفت (أى مدت أجنحتها) وتلاشت (يريد فنيت ولم تقل لغة العرب مثل هذا) لوعتها فيك لأنك روض كائن بقلب الفجر وهذا الروض مزدهر فلابد من تصور فجر ، ومن تصور قلب لهذا الفجر ، ومن تصور روض يقيم بهذا القلب ، ولابد ان يكون هذا الروض مزهرا فانظر كيف كد خياله حتى خلق صـــورا متراكبة ، لا متواكبة ، والمتواكبة لاتضيع خطوطها فى زحام التصور ولكن المتراكبة ، هى التى تنظر اليها فلا ترى الا أشباح صور ينطمس بعضها فى بعض حتى يكون ذلك هو العمى بعينه ، والبيت الأخير عجيب ولو نظمه انسان بعد شرب عشرين قرعة من البوظة الحامضة لما صدقت إلا أنه قد شرب قبل أن يقوله أربعين قرعة تباعا . . ويقل والله له وقد ضبط مزعجة فجعلها على وزن اسم المفعول ، فكيف يكون عطف المليك ليالى تهاوت حولها النذر فاصابها الدهش والانزعاج فليس ثمة معنى على الاطلاق ، أنه حديث المصروع أو الذاهل أو السكران أما انه من حديث العقلاء فلا .

وخذ قياسا على ما تقدم معظم مافى الديوان من الصور والافكار ، الا ان يكون من دواوين اللامعقول ، ويكون محمود حسن اسماعيل فى هذا الميدان سابقا غير مسبوق .

وعلى جبال رضوى ، فى اجتماع اسلامى له شأنه لا يرد على ذهن الشاعر الا انشاد القيان وطواف الكؤوس ببنت الدنان :

واسق أكوابك واسقينا وخذى الأوتار وغنينا

وهو موقف كان لابد أن يكون له أطار غير هذا الاطار ، وتناول غير هذا التناول ، مهما قيل من أن الخمر والغناء رمزان للسرور والفرح فهذا لا يغنى شيئا أمام الموقف الاسلامى الذى يجب أن يقابل تصويره باطار يناسبه . وفى جبل رضوى ، فى الصحراء العربية يطلب الشاعر من قينته الشادية الطائفة بالكؤوس أن تصغى للموج النشوان — ولست أدرى أين يكون الموج فى الصورة التى ترسمها ظروفها وموجبات المقال فيها وموحيات النشيد لها ؟ ثم يطلب منها أن تصغى لهمس الدوح النعسان حيث لادوح ولا نعاس ولئن كان نعاس الدوح لفظاً رقيقا ، فانه هنا غير مطلوب ، ويجب الا يجيب عندما يطلب منه فما النعاس فى موقف حزم وتقرير مصير ؟ وأين الدوح فى صحراء ؟ ثم يعقب على ذلك بدعائها أن تستمع الى نسيم الفجر الحيران ، الذى لا محل له فى الصورة على الاطلاق وإنما هو نظم كلام خواء ، وتركيبات ألفاظ إن أدت الى معان محددة بذواتها فبيهات أن يكون لها مكان فى صور إجتماع قومى وإسلامى جاد .

ويقول فى « أرزة » من لبنان جاءت الى فاروق بالقاهرة :

وأقبلت أرزة عليها تمائم السحر أو عصاه
خضراء مشبوبة سقاها من عزة الشرق من سقاه
وكلنا حوله طيور وحبه الروض والمياه

ماذا أراد بعصا السحر التى جاءت على الأرزة ؟ أن لعصا السحر تاريخا أدبياً يحدد مواقعها من الكلام كلما جاءت به، ومعرفة هذا التاريخ الأدبى للكلمة أو للعبارة ضرورى لكى تأخذ مكانا صحيحا فى السياق ، ولا تأخذ منه مكانا قلقا يحتاج الى التأويل والشرح والتفسير ، وعصا السحر تكون إداة فى يد أقوى السحرة وأكبرهم أو فى يد نبى كمعجزة ، وهى العصا التى كانت فى يد موسى عليه السلام وورد ذكرها فى القرآن الكريم إحدى عشرة مرة ومنها قوله تعالى :—

« وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون » .
(الأعراف - أية ١١٧)

« وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب »
(النمل — آية ١٠)

« وأن ألق عصـــاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً »
(القصص — آية ٣١)

« فألقى عصـــاه فإذا هى ثعبـــان مبـــين »
(الشعراء - آية ٣٢)

« فألقى عصـــاه فإذا هى تلقف ما يأفكون »
(الشعراء — آيه ٤٥)

ماذا أراد بعصا السحر التى جاءت على الأرزة ؟ أفاراد أنها ستستعلى على كل مافى مصر من الشجر والدوح والنبات ؟ بجمال أو حسن أو فتنة أو ثمر ؟

لئن أراد هذا فقد أعلن عن فساد ذوق يقل نظيره ، فان الأرزة لاتحمل الامعنى السفارة الأخوية من لبنان إلى مصر، وهى بهذا المعنى قد أرسلت وبه قد غرست فى ميدان عابدين ، ولئن أراد الشاعر منها الاستعلاء فقد هجا ممدوحه من حيث يريد أن يغلو فى المدح غباوة وجهلا بمواقع الكلام .

والأرزة فى البيت الثانى خضراء مشبوبة (أى مشتعلة) قد رويت بعزة الشرق ، فكيف تكون الخضراء مشبوبة ؟ أم هى مجرد أحداث فرقعة بالمفارقة ليحسن فى إذن السامع وقع الكلام ؟

ولو حاولت ان استقرىء من الديوان احالات المعانى والصور ، وفساد تكوينها وترتيبها ووضعها فى اطرها (ج اطار) الصحيحة لما كفتنى مئات الصفحات وآلافها ، وانما الشأن فى هذا النقد أن يكون نماذج بدل القليل منها على الكثير والجزء على الكل فلا على اذن اذا انا اكتفيت بما عرضت من الصور والمعانى والاخيلة والأفكار .

صناعة النظم

وللشعر فى رأينا جانبان أحدهما جانب الفن وما يرتبط به من الحس والخيال والتفكير والتعبير ، والثانى جانب الصناعة وما يرتبط بها من الوزن والقافيه ، والنحو والصرف على العموم .

ونعتقد أن فى ما أوردناه آنفا كفاية تغنى فى الدلالة على معدن الفن عند محمود حسن اسماعيل ، ونتناول الآن جانب الصناعة ، والشاعر متخرج فى دار العلوم ،

والمفروض أنه أخذ منها شهادة بأنه تعلم النحو والصرف والعروض والقوافى ، وأجازه الأساتذة فى هذه الموضوعات ، ولكن الشاعر الذى تخرج فى دار العلوم - وتؤكدها لئلا يؤكد البحاث بعد ذلك غير هذا حين يرون جهله وأخطاءه - ، يعرض عليك نحوا من تأليفه لم تعرفه العرب من قبل ، فالناس جميعا منذ عهد يعرب ابن قحطان — وربما قبل ذلك — تعرف أن الفعل المضارع لا يجزم بغير سبب يدعو إلى جزمه ، وقد حدد النحاة على سبيل الحصر ، المواقع التى ينجزم فيها هذا الفعل ولكن محمود حسن اسماعيل فى غمرة نشوته بمدح فاروق يقول :

ان لم أر الأفلاك تصغ لمزهرى وأنا أغنى التاج ما أنا شاعر

و « تصغ » مجزومة بلا جازم ، أو أن جازمها على الأصح هو جهل الشاعر وغفلته [1] « وجواب الشرط « ما أنا شاعر » يجىء جملة اسمية منفية بما فلا يضع الشاعر فى أوله الفاء ، ويقرنه بها ، كما يفعل تلاميذ المدارس الابتدائية فى كراسات تطبيقاتهم وموضوعات انشائهم ولكنه يأكل الفاء وبحسبها عطية وصلت اليه من يد فاروق لقاء هذا المديح الضارع .

ويقول الشاعر :

فى كل لمح من سناها هوى وفتنة جنت بها فتنتى
وكل نبر من صدى صوتها دنيا من اللحن بقيثارتى

البيت الأول قافيته بغير تأسيس إذ ليس فيها ألف ، والبيت الثانى قافيته مؤسسة ففيها ألف ، وهذا خطأ فى صناعة الشعر يقع فيه الشاعر لأنه يظن الشعر كلاما فى كلام وعملا سهلا من أعمال العوام أو الهوام .

---

(١) لا يجوز هنا الاحتجاج بشواذ اللغة فى هذا الشأن فان الشواذ لا يجوز أن يقاس عليها .

ويقول فى مدح الوزير السابق المرحوم سعد اللبان : —

فسلى ضفاف السين غرس جهوده ينبيك محراب الهدى وأمامه

فهو هنا قد أخذ بالرأى المرجوح فى جواب الأمر لا لأنه ممن يعتقدون صحته ورجحانه ، بل لأنه يجهل وجه الرأى فيه فقد خالفه فى سطور أخرى من أواوينه ، والرأى الراجح أن جزم المضارع لازم فى جواب الأمر ، فكأنه دضمر أسلوب شرط : الأمر شرطه وينبيك جوابه ، قال الراوى : إن سعد اللبان تململ حينما سمع هذا المدح ، إذ واجهه الشاعر بهذا الجهل النحوى العميق، ذلك أن سعد اللبان — رحمه الله — متخرج فى دار العلوم ومن أبنائها الأذكياء العلماء... فتجهم وجهه وانصرف الى الحديث فى حفل تكريمه مع أحد جيرانه دون الاستماع لهذا اللغو أو هذا الجهل .

ويقول : —

أنا ما شدوت ، ولا صدحت وإنما

أهديت نور التاج مهجة شاعر

وفقهاء اللغة يقولون أهدى اليه الشىء ، وأهدى له الشىء ولم نسمع بمن قال أهداه الشىء وأبو تمام يقول ويستعمل الفعل أهدى إستعماله الصحيح :

وإذا امرؤ أهدى اليه صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

وأضف الى مثل أكل الفاء التى تلزم جواب الشرط قوله :

أن تسل فى الشعر عنى هكذا كنت أغنى

وإذا أشجـــاك همسى من صداه لا تلـــنى

أضفهما الى سيل أخطائه فى هذه القاعدة النحوية المشهورة التى ضبط الناس حفظها قديماً ببيت من النظم لم يحفظه محمود وهو :

أسمية طلبية وبجامد وبما ولن وبقد وبالتنفيس

وخلاصة الرأى فى شعر محمود حسن اسماعيل بعامة ، وشعره المداح بخاصة، أنه لايصدر عن تجربة وجدانية صحيحة ، ولعل ذلك هوالسبب فى أنه فى القصيدة الواحدة يقول للممدوح أننى أحبك عشرات المرات ويؤكدهذا الحب ، ويلح فى هذا التوكيد إلحاحا يكشف عن دخيلة النفس ، فاذا هى لاتحب وإذا هى خاوية من كل عاطفة تجاه هذا الممدوح ، وإذا الأمر خداع فى خداع ، وتراكيب كلام لايمكن أن يدخل بها صاحبها ديوان الشعر الأصيل .

وأنه يؤلف صوراً متراكبة لا متواكبة ، وينفش شعره تهاويل لعله يستر الكذب والختال ، فاذا الصور منطمسة وإذا ألوانها يذوب بعضها فى بعض فلا تكون إلا صورة من صور اللا معقول ذات ألوان لا يبين بعضها من بعض

وأنه يبالغ مبالغات مضحكة ، تحقيقاً للغرض نفسه ، ولذلك كثر فى شعره الأنبياء والنجوم ومشاهد الطبيعة التى يحاول أن يخدم بها أغراض المدح فإذا هى لا تنفعه شيئاً .

وأنه لا يتقن النحو والصرف والعروض والقوافى فيقع فى أخطاء تدل على أن جانب الصناعة من شعره ضعيف ، وأنه لم يتقدم إلى الشعر بأداته الصحيحة ،

أو بأدواته — أن أردت الدقة — من موهبة وصدق عاطفة وعلم باللغة ونحوها وصرفها ودراية بالبحور والأوزان والزحافات والعلل ، وعيوب القافية وما إلى ذلك .

ومرة أخرى نقول إن شعر محمود حسن اسماعيل أهون علينا وعلى الأدب من أن نبذل فيه جهداً ، ولكننا نريد تبصرة الناشئة والشداة فى الأدب ، وحسبنا ذلك مما كتبناه غرضا .

* * *

وكان المرحوم الأستاذ محمد مصطفى حمام مولعاً بتقليد أشعار شعراء عصره ، وقد نظم على ألسنتهم ما كاد النقاد أن يظنوه من أشعارهم وكان محمود حسن اسماعيل ممن نظم حمام على ألسنتهم فقال :

رقص البدر على لحن الصخور ... ياسماء فى جبال من بحور
وبحوراً فى نحور من زهور ... قد حبسنا الجو فيها فانطلق

نامت الأمواج فى حضن الفلك ... وانتشى الطاووس من ماء الحلك
وارتمى الشيطان فى جوف الملك ... واستبقنا النور حبوا فاستبق

رقص الليل على جسر الأبد ... وتدلى الصبح من رجل الأسد
وأرتقينا القاع من غير عمد ... وشربنا النجم فى كأس الشفق

الهيولى فى مزامير الأزل ... تسكب الحزن ، وللحزن غزل
صعد القلب عليها ونزل ... وتردى الماء فيها فاحترق

ياهزيج الوجد فى مسرى العصور جف ريق الحب فى ثغر الأمور
ولقد كانت ـ وماكانت ـ عطور تلمز الغيب إذا الغيب نفق

صلوات ذبحت فى معبدى وسكارى ألهموها باليد
والرؤى ليس لها من مسعد غير فجر جلده فانفلق

ولا شك أن حماما رحمه الله قد لخص بهذه القصيدة العجيبة رأيه فى محمود حسن اسماعيل أو فى تلخيص ، وقد روى لى رحمه الله أنه بعث بها منسوبة لمحمود حسن اسماعيل إلى إحدى الصحف التى كانت تهتم بنشر شعره ، فنشرتها فى صفحتها الأولى بعنوان « رقص البدر للشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل » .

ولسنا نرى ختاما لهذا الجزء من كتاب الديوان أليق من قصيدة زعم أحد المنومين المغناطيسيين أنه سمعها من محمود حسن اسماعيل بعد تنويمه ، فجاء على سجيته فيها ، وكشف عما بنفسه وصحح القصيدة التى ختم بها ديوانه « هكذا أغنى » حين رواها على وجهها الصحيح ، وهذه هى القصيدة مروية على لسان وسيط المنوم .

هكذا أغنى

أن نسل فى الشعر عنى هكذا كنت أغنى
أترى ثمة فرقا بين شحاذ وبينى
إننى أقبس منه وهو قد يقبس منى
فله معنى كمعناى ولحن مثل لحنى

وله ثــوب رقيع | آخذ من كل لون
وإذا نــاجى ضرا | عات فهذا بعض فنى
وإذا غمغم بالأصوا | ت فى غير تــأن
فأنا ذاك ، وهذا الــ | ـكون ـ لو تعلم ـ كونى
وإذا هينم بالقــو | ل ولم يفصح ... فإنى

مذهبى الدينار والدر | هم ذو الصوت المرن
فهما أهــلى وصحبى | وهمــا كأسى ودنى
إنما الفقــر جحيم | وهما جنات عــدنى
بهما بعــت نشيدى | واغاريدى وفــنى
إن من لام على ذا | ك جهــول متجن
فاستمع لى فى هدى نفـ | ـسى شعرى أو فدعنى
« ما أنا الا كظل | لشعورى فاعف عنى »

أنا فى رجل مليك النيـ | ـل ـ واسمع ذاك منى ـ
راسم كعب حــذاء | أسود أو هو بــنى
أنه يــولى ويعطى | ويهــنى ويمــنى
وإذا ثنى بجــود | فانتظــر منى التثنى

يا سقى الله زمانــــا من حيـا السحب بهتن
كنت فيه شاعر الأفـ ـراح أشدو فأهـــنى

فى يدى « الصــــاجات » والأقوام من حولى بشن
هزج الرقص ، ورقص الشعر فن أى فن

ضاحك السن وكم يهـــ ـدى المعانى ضحك سنى
مقطع الحق صريحـــا قلتـــه فاروه عنى
هكذا كنت أغنى هكذا كنت أغنى

وبعد :

أيها القارىء الصديق فى عصرنا ، وفيما يتلوه من عصور .

لقد كتبت هذا دفاعاً عن شرف الأدب بعد أن تلوث جوه ، وفسدت مياهه ، وامتلأت طرقاته بالأحجار والعوائق ، وحاولت « الثلل » والتجمعات الضارة أن تحوله عن تيار الصحة والسلامة الى تيار الغرض والضلال ، وقيس الأدب بمقياس الحاجة الى صاحبه فى موقعه من عمله ، فقد والله سمعت أن ناقداً كتب مقالا يمدح فيه شاعراً مدحاً مبالغاً مضحكا ، فلما لمته قال فى صراحة : وماذا أفعل ؟ إن لى عنده مسائل تحتاج منه إلى نظرة ، وهو لم يرد أن ينظر الى مسائلى فأردت أن أعطفه إليها بهذا المقال .

وستتلو هذا الجزء من كتاب الديوان إن شاء الله أجزاء أخرى لتتم تنقية الجو الأدبى وتصفيته من شوائبه لتتنفس هواء نقيا ونشرب ماء عذبا ونسير فى طريق ممهد معبد . وهذا وحده هو هدفنا من هذا الجزء ، وسيكون هدفنا — إن شاء الله — فيما يتلوه من الأجزاء ؟

٢٥ شارع النزهة — مصر الجديدة
القاهرة — ج . ع . م

العوضى الوكيل

وادى النيل
للدعاية والطبـــاعة والنشر

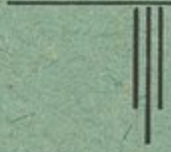

الثمن ٥٠ مليما

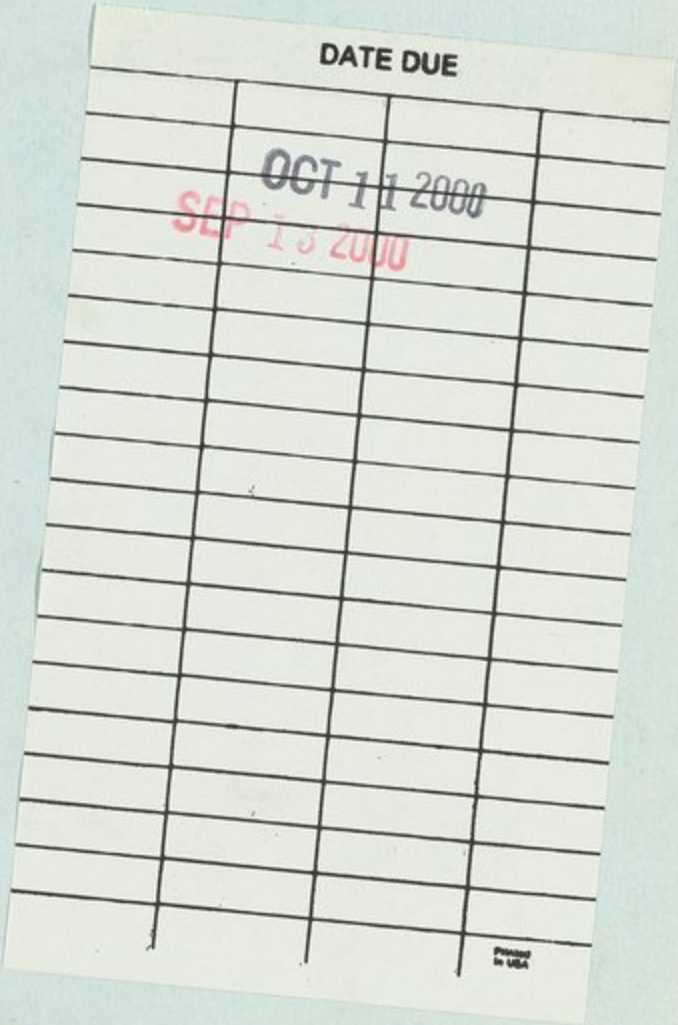

DATE DUE

	OCT 11 2000		
SEP 13 2000			

Printed in USA

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0038599031

PJ
7814
.Q6
1921
v. 3

09220356
PJ 7814
.Q6 1921 V3 C1

FEB 23 1973

PJ-7814-.Q6-1921 V.3